

« جهود علماء الجزائر في مجال الإقراء » بجاية نموذجاً

الأستاذ: محمد عبدوغة

باحث في القراءات وتاريخ الروايات العلمية-الجزائر

المقدمة:

ومازونة والقلعة وفي سهل غريس
ومجاجة والعطاف ومليانة والمدية
وجزائر مزغنة وبلاد زواوة وقسنطينة
وعنابة ووادي ريغ ومنطقة الزاب
والحضنة وبني مزاب وتوات والساورة
وفي أماكن أخرى حباها الله وأجتهاها
لخدمة كتابه .

وتاريخ الجزائر حافل في مجال
الإقراء والقراءات الذي هو موضوع
مداخلتنا المعنون « جهود علماء
الجزائر في مجال الإقراء، بجاية
نموذجاً ».

الحمد لله الذي أنزل على عبده
الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً
والصلاة والسلام على سيدنا رسول
الله القائل « خيركم من تعلم القرآن
وعلمه ».

وبعد فإنّ هذا المجلس الكريم
المعطر بكلام الله في هذا المكان العامر
الذي بني على تقوى من الله لأداء مهمة
كبيرة وهي نشر القرآن والعلم كباقي
الزوايا والمعاهد التي انتشرت في قطرنا
الكبير شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً من
أجل خدمة كتاب الله حفظاً ورواية
ودراية في تلمسان ووهران وتيارت

وكان دخول القرآن الى الجزائر مع الفاتحين عقبة بن نافع ثم موسى بن نصير وأرسل عمر بن عبد العزيز جمعا من الفقهاء يعلمون الناس القرآن والحلال والحرام.

ودخل مصحف عثمان بن عفان الجزائر وبلاد المغرب العربي حتى وصل الأندلس واهتم المغاربة بحفظه ونسخه حتى كتب أبو الحسن المريني ثلاثة مصاحف بخطه وجهها الى المساجد الثلاثة مكة- المدينة- الأقصى.

تعريف القراءات اصطلاحا:

عرفها الإمام بن الجزري بأنها «علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا الناقلة»

أركان القراءة الصحيحة:

- 1- أن تكون موافقة للغة العربية ولو بوجه من الوجوه.
- 2- أن توافق أحد المصاحف العثمانية.

تاريخ دخول القرآن والقراءات إلى الجزائر

دخول القرآن:

إن القرآن الكريم هو كتاب الله المبين الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي علمه صحبه الكرام الذين تسابقوا في حفظه صدرا وسطرا مع كثرة العمل ولقد سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من أمين الوحي جبريل عليه السلام.

وكان القراء من الصحابة كثيرا، وما مقتل البعض منهم في بئر معونة الذين بلغ عددهم سبعين رجلا إلا دليلا على ذلك وفي معركة اليمامة استفحل القتل في القراء فكان الدافع الأساسي في جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وأخذ عن الصحابة جمع من التابعين فكانوا خير ناقل وسامع وراو للقرآن الكريم.

3- أن يتواتر نقلها

والذين جمعوا هذه الأركان هم
الأئمة العشرة (الإمام نافع- بن كثير-
أبو عمرو البصري- بن عامر الشامي-
عاصم- حمزة- علي الكسائي- أبو جعفر-
يعقوب- خلف)

قال الإمام القرطبي في الجامع
لأحكام القرآن.

«وقد أجمع المسلمون في جميع
الأمصار على ما صح عن هؤلاء الأئمة
فيما روه من القراءات».

دخول القراءات إلى الجزائر وبلاد

المغرب العربي والأندلس:

نقل أن أبا موسى الهواري من أهل
الأندلس رحل إلى المشرق في خلافة
عبد الرحمان الداخل لقي مالكا وكان
أول من أدخل القراءات إلى الأندلس،
وذهب كثيرون إلى أن من أدخلها إلى
بلاد المغرب والأندلس أحمد بن محمد
الظلمني ت في 429.

ثم انتشرت بعد ذلك وبرز فيها مكي
بن أبي طالب القيسي القيرواني ت
سنة 437 والإمام الحافظ أبو عمرو
الداني تفي 444 الذي جمع هذا الفن
من أطرافه واعتمدوا كتابه التيسير
الذي تناقله المختصون في القراءات،
وبهذا عمّت القراءات السبع بلاد
المغرب العربي والأندلس

وتنافس الجزائريون في بناء وتشيد
الكتاتيب والمدارس والزوايا والجوامع
التي كانت قلاعا للإقراء والعلم والمعرفة
تحت مظلة القرآن الكريم.

زوايا ومعاهد الإقراء في بجاية:

كانت بجاية تضم جبال الحضنة
والبيبان وجرجرة ووادي الصومام
حتى تصل إلى مشارف العاصمة شرقا
شهدت بجاية نهضة فكرية وثقافية
وعلمية واقتصادية بل في شتى الميادين
وظهر فيها علماء أجلاء ولادة وإقامة
فقهاء ومحدثون ومفسرون وفلاسفة

- زاوية الشيخ يحيى العيدلي
فيتامقرة بني عيدل بجاية.
- زاوية الشيخ أحمد أويحيى امالوا
ببجاية.
- زاوية الشيخ علي أويحيى في بني
كوفي تيزي وزو.
- زاوية الشيخ علي موسى معاتقة
تيزي وزو.
- زاوية الشيخ علي موسى ايفرحونن
تيزي وزو.
- زاوية الشيخ علي بو طالب كوكو
تيزي وزو.
- زاوية الشيخ عمر الحاج بوزقن
عزازقة تيزي وزو.
- زاوية شرفة نهول عزازقة
تيزي وزو.
- زاوية الشيخ منصور الجنادي تمزار
تيزي وزو.
- زاوية الشيخ أحمد ادريس ايلولا
تيزي وزو.

ولغويون وجاءها طلاب العلم من أوروبا
وأفريقيا وآسيا في العهد الحمادي
قال عنها أبو حامد الصغير المسيلي
«إن بجاية وحدها كان بها تسعون
مفتيا أواخر القرن السادس الهجري».
وقال ياقوت الحموي بأنه «حتى
العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون
عن ظهر قلب كتب البخاري والمدونة
والموطأ والتلقين ويشرحونها للناس
من ذاكرتهم» وهي شهادة كبيرة في حق
هذه المنطقة.

وقد ترجم الشيخ أحمد الغبريني في
كتابه (عنوان الدراية فيمن عرف من
العلماء في المائة السابقة ببجاية) لأكثر
من مائة وعشرة من العلماء والفقهاء
والأدباء والأطباء والشعراء والفلكيين
 والرياضيين والمتصوفة والمحدثين
والقرّاء.

**ومن الزوايا والمعاهد التي اشتهرت
في بجاية :**

- زاوية الشيخ عمر الشريف سيدي
داود بومرداس
- زوايا ومعاهد أخرى - في الجعافرة
وبني يعلي وبني ورتلان.

ومن أبرز الزوايا التي واصلت مسيرة الاقراء

*زاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي
التي أسست في النصف الثاني من
القرن الحادي عشر الهجري تقع اليوم
في عزازقة ولاية تيزي وزو و عرفت
بانضباطها في التسيير والتعليم وهي
من الزوايا الوحيدة التي يشرف عليها
كبار الطلاب وتُدَرَّس فيها أمهات الكتب
في العلوم الشرعية واللغوية وعلم
الفلك والحساب والذي اشتهرت به هو
علم القراءات.

وعرفت بشيوخها الكبار مثل
الصادق بن زكري شقيق مفتي الجزائر
السعيد بن زكري والشيخ الشريف
الافليسي ومحمد الطاهر الجنادي

والعربي الأخداشي والشيخ الحافظي
والشيخ الشرفاوي وتخرج منها أعلام
كبار كأبي يعلى الزواوي وأبي القاسم
البوجليلي.

*زاوية ابن أبي داود وتقع في تاسلنت
أقبو بجاية أسست في القرن الثامن
الهجري مؤسسها السعيد بن ابي داود
قصدها الطلاب من مناطق عدة في
الوطن، وكانت تدرس بها مواد كثيرة
في العقيدة والأصول والفقه واللغة
والفلك والحساب وعلم القراءات، ومن
الذين درسوا فيها الشيخ محمد بن أبي
القاسم مؤسس زاوية الهامل والشيخ
عبد الرحمان الديسي وآخرون.

*زاوية بن علي الشريف شلاطة
ببجاية وكان لهذه الزاوية دور كبير
ومساهمة طيبة جعلت طلاب القرآن
يقصدونها من جميع البلاد وأصبحت
متخصصة في القرآن وعلم القراءات
وكان من الذين درَّسوا فيها البشير

قال عنه ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء «وطاف بالبلاد في طلب القراءات فلا أعلم أحدا في هذه الأمة رحل في القراءات رحلته ولا في من **الشيخوخ**» ووصفه الذهبي بأنه مقدم في النحو والصرف وعلل القراءات ألف كتاب (الكامل في القراءات).

وكوّن لنفسه ترجيحات وتفسيرات وأراء واختيارات خاصة فيه وأصبح مرجعا للنحو والقراءات.

وبسبب بروزه في هذه العلوم استدعاه الوزير السلجوقي نظام الملك إلى نيسابور بإيران وعينه أستاذا في مدرستها المشهورة (النظامية) ودرّس فيها حتى ت 465 هـ رحمه الله رحمة واسعة.

*أبو محمد عبد السلام بن عمر الزواوي زين الدين ولد في بجاية 589 هـ ونبغ في القراءات والفقه واللغة والأدب ولما تقدم به السن رحل إلى المشرق

الإبراهيمي وكان تأسيس الزاوية سنة 1700 م.

وكان الناس إذا أرادوا مدح طالب أو فقيه نسبوه إلى أحد الزاويتين السابقتين، وهكذا أدت هذه المؤسسات الدينية دورا كبيرا في نشر وتعليم علم القراءات في الجزائر عموما.

القراء في بجاية:

-أبو القاسم الهذلي يوسف بن علي بن جبارة البسكري الجزائري ولد بمدينة بسكرة 403 هـ درس بها ودخل بجاية وفاس والأندلس وتلمسان وتونس وليبيا ومصر والشام والحجاز وبلاد الترك والعراق وأفغانستان.

قال «ودخلت البلدان يمينا وشمالا وسهلا وجبلا ولم استنكف أن أقرأ على أحد صغير ذكر أو أنثى اقتبس منهم ثلاثا وأربعين سنة في السفر مع الجوع والفقر ليلا ونهارا» وأخذ عن 365 شيخا من المغرب إلى أفغانستان.

*أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد بن سيد الناس اليعمرى الفقيه المتقن المحدث الحافظ امام في علم القراءات ولى الإمامة والخطابة في الجامع الأعظم ببجاية ت659

*أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله المعافى الفقيه المقرئ المتقن النحوي أبو عمرو وقته في علم القراءات، جلس للإقراء والرواية بالجامع الأعظم ببجاية قرأ عليه خلق كثير اختصر كتاب التيسير لأبي عمرو الداني.

ومن المعاصرين:

-الشيخ محمد أبو القاسم البوجلبي ولد في قرية بوجلبي في بني عباس 1829م حفظ القرآن في مسقط رأسه على والده ثم التحق بزاوية الشيخ عبد الرحمان اليلولي في عزازقة ودرس مختلف العلوم

وتنقل بين الاسكندرية والقاهرة وانتقل الى الشام ووّلى مشيخة الإقراء بالصالحية (دمشق) وتولى فيها قضاء المالكية ت681هـ.

*أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكنانى المقرئ عالم بالقراءات متفنن فيها مجيد له معرفة باللغة والأدب وهو أحد من كثرت القراءة عليه والرواية عنه ببجاية وخطب بجامعها الأعظم أكثر من ثلاثين سنة ت614

*أبو العباس أحمد بن حسن بن محمد خضر الصدي الشاطبي المقرئ الضابط المتقن الموجود له رواية واسعة ومعرفة بالقراءات قال عنه الغبريني «ما رأيت أتقن منه في القراءات ولا أضبط منه في طريق الروايات»

*أبو عثمان سعيد بن علي ابن محمد عبد الرحمان بن زاهر الأنصاري الفقيه المقرئ له علم بالقراءات ومحكم الرواية ت654 ببجاية.

بزاوية الشيخ عبد الرحمان اليلوي
وكان من شيوخه :

1- الشيخ صادق بن زكري البسكري
الذي تولى الافتاء في تيزي وزو

2- المقرئ النحوي الشيخ طاهر
القيطوسي الحضيري من قرية او
لحضير بناحية اقبوات 1903م الملقب
«بقام زيد» ورحل إلى الجزائر وقرأ على
الشيخ العلامة محمد سعيد بن زكري
مفتي المالكية بالجامع الكبير والعلامة
الشيخ عبد القادر المجاوي.

كان الشيخ سعيد يحفظ القرآن
حفظا جيدا ويتلوه ويجوّده بالقراءات
السبع والعشر، وتولى التعليم في عدة
زوايا منها :

-زاوية الشيخ يحيى بن موسى
الوغيلى قرب سيدي عيش بجاية
- زاوية الشيخ سعيد ابن علي
الشريف بشلاطة بجاية.

الموجودة في الزاوية ومنها علم القراءات
على شيوخ اجلاء من أمثال العربي
الأخداشي -محمد الطاهر الجنادي
خريج جامع الزيتونة.

وبعد تخرجه مكث يدرّس في نفس
الزاوية مدة سنة وأسس لنفسه زاوية
بعد إذن شيوخه في بلدته وعلم بها
الفقه والتوحيد والمنطق والحساب
والتجويد وعلم القراءات.

من مؤلفاته في علم القراءات
كتاب (التبصرة في القراءات العشرة).

**-الشيخ سعيد بن علي اليجّري
الزواوي**

ولد في عرش بني يجّري بمنطقة عزازقة
سنة 1873م بعد اندلاع ثورة الحداد
والمقراني درس المبادئ الإسلامية
والعلمية وحفظ القرآن على والده
علي بن أحمد الذي كان معلما للقرآن
واللغة وإماما في المنطقة ثم التحق

- زاوية الشيخ سعيد المسيسي
بصدوق بجاية
- زاوية الشيخ عمروالحاج ببوزقن
تيزي وزو

وتخرج على يديه الكثير من الحفاظ
والقراء والمجودين للقرآن الكريم زاره
في منزله بن باديس رحمه الله سنة
1925 وتوفي سنة 1951

مراجع الإقراء في الجزائر

1 - التبصرة في القراءات السبع
للإمام مكي بن أبي طالب القيرواني
القيسي ت 437 وهو من أهم مراجع
التدريس ببلاد المغرب العربي جمع
فيه أربعة عشر رواية عن القراء
السبعة المشهورين، معتمدا على
ماقرءه على شيخه بن غلبون في
الغالب مع ذكر من يخالفه في بعض
رواياته واختياراته وذلك قليل ويعد
هذا الكتاب من أهم ما ألف في مجال
القراءات في عصره والكتاب مختصر
مفيد ميسر لطلاب العلم.

2 - التيسير في القراءات السبع
للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن
سعيد بن عثمان بن عمرو الداني ولد
371هـ وبدأ في طلب العلم في الأندلس
ورحل إلى المشرق وسمع وعلم وتعلم
وأخذ وأعطى مما لديه من علم كعادة
الأشياخ.

قال ابن بشكوال «كان أبو عمرو
أحد الائمة في علم القرآن رواياته
وتفسيره ومعانيه وإعرابه» ت 444، له
مؤلفات متنوعة في علم القراءات منها
كتاب التيسير الذي جعله مختصرا في
مذاهب القراء السبعة بالأمصار (نافع
-المكي- البصري- الشامي-عاصم-
حمزة-الكسائي) ليسهل حفظه
ويخف درسه واعتمد فيه على الإيجاز
والاختصار وترك التطويل والتكرار،
وأقبل عليه العلماء شرحا وتعليقا
والطلاب حفظا وتطبيقا وكان كتاب
التيسير من الكتب المعتمدة في حاضرة
بجاية في علم القراءات.

3 - الشاطبية للإمام العلم العامل القدوة أبي محمد أو أبي القاسم بن فيرّه بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي كان اماما ثبتا حجة في علوم الحديث والقرآن واللغة صاحب ذهن حاد وقوة في الادراك مع زهد وورع وكان لا يجلس للإقراء إلا على طهارة ولا يتكلم في مجالسه إلا في العلم والقرآن ت590هـ بالقاهرة.

انتقل من الأندلس إلى مصر واستقر بها بعد حجه.

قال ابن الجزري في طبقاته «هو ولي الله العلامة أحد الأعلام الكبار المشهورين في الأقطار» وقال عنه شمس الدين الذهبي: «كان إماما علامة ذكيا كثير الفنون منقطع القرين رأسا في القراءات حافظا للحديث بصيرا بالعربية واسع العلم.» واسم الشاطبية «حرز الاماني وجه التهاني» جمع فيها قراءات وروايات القراء السبع وهي

في الاصل نظم لكتاب التيسير لأبي عمرو الداني الذي تكلمنا عنه سابقا وذكر انه ابتداء نظمها في الاندلس حتى البيت الخامس والأربعين الذي قال فيه: جعلت ابا جاد على كل قارئ **** دليلا على المنظوم أول وأولا واكملها بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة ونقل عنه أنه طاف بها أشواطا كثيرة حول الكعبة وذكر في نظمه القراء ورواتهم وآداب طالب القراءات ثم تكلم عن أصول القراءات وفرش الحروف وباب التكبير ومخارج الحروف وصفاتها عدد أبياتها 1174 وشرحها كثير من أهل العلم بين طويل ومختصر منهم تلميذه الامام السخاوي ومن الجزائريين أبو راس الناصر القلعي المعسكري ت1238هـ سماه (توضيح المعاني في شرح حرز الاماني).

4 - الدرر اللوامع في أصل مقرا الإمام نافع ورش وقالون للإمام أبي

الخاتمة:

من خلال هذا التطواف الوجيز مع مدارس وشيوخ ومراجع الإقراء في الجزائر نفرح لماضيها الحافل بالعلم والعلماء والمقرئين والقراء والأمل يحدونا في مواصلة مسيرة أباؤنا وأجدادنا وأسلافنا الذين سبقونا لخدمة كتاب الله الذي هو خير مقروء وخير مسطور وخير محفوظ وخير متلو على وجه البسيطة.

فما دامت الزوايا والمدارس القرآنية فلا خوف على بلادنا لأنها صمام الأمان لهذا الوطن الذي سقاه شهداؤنا الأبرار بدمائهم الطاهرة. وإن ماعاناه الجزائريون من احتلال كبير لم يكسر ارادتهم في التمسك بمبادئهم وقيمهم. فكان من أوائل المجاهدين لما دخل المحتل الإسباني والفرنسي بلادنا العلماء والقراء وطلبة العلم والرباطات التي كانت موجودة على ثغور الساحل لخير شاهد في وهران وبجاية والجزائر.

الحسن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المعروف بابن بري عالم في القراءات والنحو والفقه والانشاء والكتابة ت730 هـ وقيل 731.

وقد نظم هذا المتن في قراءة نافع في 276 بيتا وفيه مقدمة وأصول القراءة وفرش الحروف ومخارجها وصفاتها وخاتمة.

كان هذا النظم يدرّس في دور الإقراء في الجزائر ويعتبر من المراجع المهمة، وشرحه كثيرون منهم:

- عبد الرحمان الثعالبي الجزائري ت876 في كتاب (المختار من الجوامع في محاذاة الدرر اللوامع)

- أبو راس الناصر القلعي الراشدي المعسكري الجزائري ت1238 في كتاب (السيوف القوامع في شرح الدرر اللوامع)

- أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد المارغنيت ت1349 في كتاب (النجوم الطوالع على الدرر اللوامع).

مراجع ومصادر البحث

- منجد المقرئين ومرشد الطالبين
محمد بن محمد بن الجزري.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء
في المائة السابعة ببجاية للشيخ أبي
العباس احمد بن عبد الله الغبريني.
- إعلام الفكر والثقافة في الجزائر
المحرّوسة للدكتور يحي بوعزيز.
- تاريخ الجزائر الثقافي للدكتور ابو
القاسم سعد الله.
- الأعمال الكاملة للشيخ المهدي
البوعبدلي جمع عبد الرحمان دويب.
- تاريخ الجزائر العام لعبد الرحمان بن
محمد الجيلالي.
- القراء والقراءات بالمغرب سعيد
اعراب
- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر
تاريخها ونشاطها لصالح مؤيد العقبي.

وفي وهران لبي العلماء وطلاب
العلم نداء الجهاد فذهبوا من تيارت
وغليزان ومعسكر والشلف وشكلوا
مائة رباط في كل رباط خمسة وعشرون
طالبا مع شيوخهم يقرؤون ويتعلمون
ويجاهدون مع شعبيهم واستطاعوا أن
يخرجوا الإحتلال الإسباني من وهران.
ولما دخل المحتل الفرنسي بلادنا قاومه
العلماء والشيوخ وطلابهم كالأمير عبد
القادر وبوعمامة والحداد والمقراني
وبوزيان وقاموا بثورات شعبية عارمة
سُطرت ملاحمها في التاريخ. ونقول بكل
فخرواعتزاز أن الجزائري لم يتخل ولن
يتخل يوما بإذن الله عن قرآنه ومبادئه
ووطنيته في الحرب والسلام. والله ولي
التوفيق والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.